ذخائر العرب

٣٠

تاريخ الطبري

تاريخ الرسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ — ٣١٠ هـ

الجزء الثامن

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

دار المعارف بمصر

ولا تُدخانّ فى مشورتك أهل الدِّقة[١] والبخل ، ولا تسمعنّ لهم قولاً ؛ فإنّ ضررهم أكثر من منفعتهم . وليس شىء أسرع فساداً لما استقبلت فى أمر رعيتك من الشحّ . واعلم أنك إذا كنت حريصًا كنت كثير الأخذ ، قليل العطية ؛ وإذا كنت كذلك لم يستقمْ لك أمرك إلاّ قليلا ؛ فإن رعيّتك إنما تعتقد على محبّتك بالكفّ عن أموالهم وترك الجوْر عنهم ، ويدوم صفاء أوليائك لك بالإفضال عليهم وحسن العطيّة لهم ، فاجتنب الشحّ ، واعلم أنه أول ما عَصَى به الإنسان ربّه ، وأن العاصى بمنزلة خزى ؛ وهو قول الله عز وجل : ﴿ ومَنْ يُوقَ شُحَّ نفسه فأولئكَ هُمُ المفلحون ﴾[٢] ؛ فسهّل طريق الجود بالحق ، واجعل للمسلمين كلهم من نيّتك حظًّا ونصيبًا ، وأيقن أن الجود من أفضل أعمال العباد ، فاعدده لنفسك خُلقاً ، وارض به عملا ومذهبًا .

وتفقّد أمور الجند فى دواوينهم ومكاتبهم ، وأدرر عليهم أرزاقهم ، ووسّع عليهم فى معايشهم ؛ ليُذهبَ بذلك الله فاقتهم ، ويقومَ لك أمرهم ، ويزيد به قلوبهم فى طاعتك وأمرك خلوصًا وانشراحًا ، وحسب ذى سلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيّته رحمةً فى عدله وحيطته وإنصافه وعنايته وشفقته وبرّه وتوسعته ؛ فزايل مكروه إحدى البايّتين باستشعار تكملة الباب الآخر ، ولزوم العمل به تلقَ إن شاء الله نجاحاً وصلاحاً وفلاحاً .

واعلم أنّ القضاء من الله بالمكان الذى ليس به شىء من الأمور ، لأنه ميزان الله الذى تعتدل عليه الأحوال فى الأرض ، وبإقامة العدل فى القضاء والعمل ، تصلح الرعيّة ، وتأمن السبل ، وينتصف المظلوم ، ويأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ، ويؤدّى حق الطاعة ، ويرزق الله العافية والسلامة ، ويقوم الدين ، وتجرى السنن والشرائع ، وعلى مجاريها ينتجز الحق والعدل فى القضاء .

واشتدّ فى أمر الله ، وتورّع عن النَّطَف[٣] وامض لإقامة الحدود ، وأقلل العجلة ، وأبعد من الضّجر والقلق ، واقنع بالقَسْم ، ولتسكن ريحك ، ويقرّ جدُّك ، وانتفع بتجربتك ، وانتبه فى صمتك ، واسددْ فى منطقك ، وأنصف الخصم ،

---

(١) ابن الأثير : « أهل الذمة » .
(٢) سورة التغابن ١٦ .
(٣) النطف : العيب والفساد ، وفى ابن الأثير « القصف » .